ماهية اللحن وبدايات ظهوره في التراث العربي

ERROR AND ITS BEGINNING IN THE ARABIC HERITAGE

عويقب فتيحة*
جامعة سيدي بلعباس
كلية الاداب واللغات والفنون.

تاريخ الارسال...2024/03/02..تاريخ القبول .2025/12/13.. تاريخ النشر ..2025/12/30....

ملخص

المعروف عن اللغة العربية أنها لغة إنسانية حية،لها نظامها الصوتي والصرفي والنحوي والتركيبي،كما لألفاظها دلالاتها الخاصة بها.وقد رأى العلماء أن كل خروج على هذا النظام اللغوي المتكامل يعد لحناً،سواء أكان هذا الخروج بخلط الكلام بلغة أخرى،أم في استعمال اللفظة في غير موضعها،أم في مخالفة أي عنصر أساسي من عناصر كيانها اللغوي الذي يميزها عن غيرها من اللغات الإنسانية الأخرى.ومن هنا توجب علينا الوقوف على تحديد ماهية مصطلح "اللحن" وتعريفه من الناحية اللغوية والاصطلاحية.

الكلمات المفتاحية:

اللحن-اللغة العربية-الإعراب-الخطأ-النظم اللغوي.

Abstract:

We know that Arabic language is a living language, it has its phonetic morphological, grammatical and syntactic system, and its words have their own connotations. Scientists thought that any breaking in this integrated linguistic system can be considered as a failure .whether by mixing two languages, or by using the word in the wrong position, or in violation of one of the basic elements of its linguistic entity which distinguishes it from other natural language. Therefore, we had to stand to define the term of error as a word as well as a term.

Key words:

Error-Arabic language-Declension- mistake-Linguistic system.

* عويقب فتيحة

1. **مقدمة**

2. تحكم اللغة العربية مجموعة من القوانين والضوابط التي لا بد من مستخدمها احترامها، حتى يكون تأليفه للكلام صحيحا يتوافق مع هذه القواعد، التي سنها اللغويون بهدف استقامة الكلام.وكل ما يخرج عن هذه القواعد يمكن تسميته في اللغة العربية بمصطلح اللحن ،هذا الأخير الذي كلما تحدثنا عن بدايات ظهور النحو العربي نذكر تفشي ظاهرة اللحن وانتشارها نتيجة اختلاط العرب بغيرهم من العجم.وللحد من هذه الظاهرة سن النحاة العرب قواعد تحكم اللغة العربية وتحافظ عليها من الضياع. عرف مصطلح اللحن عدة معاني أهمها معنى الخطأ،الذي يكون إما على مستوى الصوت أو على مستوى الإعراب.

2. **ماهية اللحن:**

إن الباحث عن المعنى اللغوي لمصطلح اللحن وفي مادة ل ح ن في معجم لسان العرب لابن منظور يقف على قوله:"ورجل لاَحنٌ ولحَان ولحَانة ولُحَنَة:يخطئُ... والتلحين:التخطئة.ولَحَنَ الرجل يلحَن لحْنا:تكلم بلغته،ولَحَنَ له يلحَنُ لحناً:قال له قولا يفهمه عنه ويخفى على غيره،لأنه يميله عن التورية عن الواضح المفهوم، ومنهم قولهم:لَحِنَ الرجل، فهو لَحِنٌ إذا فهم وفطن لما لا يفطن له غيره...ورجل لَحِنٌ عارف بعواقب الكلام ظريف.

واللحَن بفتح الحاء: الفطنة.قال ابن الأعرابي: اللحْنُ بالسكون الفطنة و الخطأ سواء،قال: وعامة أهل اللغة في هذا على خلافه،قالوا الفطنة بالفتح،والخطأ بالسكون.قال ابن الأعرابي واللحن أيضا بالتحريك اللغة،وقد روي أن القرآن نزل بلحَن قريش بلغتهم وفي حديث عمر رضي الله عنه: تعلموا الفرائض والسنة واللحَن،بالتحريك، أي اللغة...و قال أبو عبيدة في قول عمر رضي الله عنه:تعلموا اللحْن أي الخطأ في الكلام لتحترزوا منه...

قال ابن بري وغيره: للحن ستة معان: الخطأ في الإعراب،واللغة والغناء والفطنة والتعريض والمعنى.فاللحن الذي هو الخطأ في الإعراب يقال عنه لَحَنَ كلامه،بفتح الحاء يلحَن لحنا فهو لحَان ولحَانة".[1]

يؤيد ما سبق ذكره من أن إحدى معاني اللحن الخطأ قول ابن فارس ف مادة-لحن-:" اللام و الحاء والنون له بناءان يدل أحدهما على إمالة شيء من جهته،ويدل الآخر على الفطنة و الذكاء .فأما اللحْن بسكون الحاء،فإمالة الكلام عند جهته الصحيحة في العربية، يقال:لَحَن لحناً،وهذا عندنا من الكلام المولد،لأن اللحْن محدث لم يكن في العرب العاربة، الذين تكلموا بطباعهم السليمة".[2]

3.مظاهر اللحن:

اتخذ اللحن في اللغة مظهرين متمايزين هما:[3]

أ.الخطأ في الأصوات والصيغ والبنية.ويمكن تسميته بالخطأ في الصرف.

ب.الخطأ في الإعراب.ويمكن تسميته بالخطأ في النحو.

ويذكر أن النوع الأول قد جرى على ألسنة الموالي والعبيد والجواري تبعا لما ألفته ألسنتهم في البيئات التي نشأ فيها.فمثال الخطأ في الأصوات: النطق بالعين همزة كقولهم "تصنأ" بدل "تصنع"،ونطق القاف كافا كقولهم: كُلْتُ بدل قلت.

ومثال الخطأ في صيغ الكلمات قول أم نوح زوجة جير-وكانت أعجمية-:" يا نوح،جردان دخل في عجان أمك".

ومثال الخطأ في بنية الكلمة قول زياد النبطي حين سئل:لم اتبعت هذه الأتان؟:" أركبها وتلَد لي"-بفتح اللام-وهو يريد: وتلِد لي –بكسرها في العربية-.

وما يلاحظ على هذا النوع من اللحن أنه لم يكن بالأمر الذي يقلق علماء العربية بالمقارنة مع النوع الثاني،وهو الخطأ في إعراب الكلمات،إذ اختلفت المعاني طوعا لاختلاف شكل آخر الكلمة،إذ مما أثر عن العرب قول الوليد بن عبد الملك لغلامه-وكان بحضرته عمر بن عبد العزيز-:"يا غلام،ادع لي صالح.فقال الغلام: يا صالحاً،فقال الوليد:ويحك يا غلام،أنقص من صالحك ألفا،فقال عمر:وأنت يا أمير المؤمنين، فزد في صالحك ألفا".[4]

4.كيف ظهر اللحن؟

نشأ اللسان العربي في الجزيرة العربية سالما من الخطأ واللحن خالصا لأهله،يأخذ الواحد من الآخر،يقول ابن خلدون:" فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات فيلقنها ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ثم لا يزال سماعهم يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم واستعماله يتكرر إلى أن يصير ملكة وصفةً راسخةً ويكون كأحدهم".[5]

إن المتتبع لظاهرة اللحن يجد أنها مشكلة طارئة على اللسان العربي،إذ لم تكن قائمة حينما كانت اللغة ملكة في ألسنة العرب، يأخذها الجيل عن الجيل السابق،فلما جاء الإسلام،ودخل الناس في دين الله أفواجا من مختلف الشعوب والألسنة،وخالط العرب الأعاجم في حياتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية،صار من غير الممكن المحافظة على صفاء اللغة ونقائها.[6]

وظاهرة اللحن في اللغة العربية ليست وليدة العصر الحديث،فقد ظهر اللحن في كلام الموالي والمتعربين منذ عهد النبي محمد ص.فقد ذكر السيوطي أن رجلا لحن بحضرته فقال:" أرشدوا أخاكم فقد

ضل".[7]وروي من لفظ النبي ص أنه قال:"أنا من قريشٍ ونشأت في بني سعدٍ فأنى لي اللحن!.."[8] و كتب لأبي موسى الأشعري إلى عمر:"من أبو موسى"،فكتب إليه عمر:سلام عليك،أما بعد فاضرب كاتِبك سوطاً واحداً،وأخر عطاءه سنة.[9]

وهذا أبو بكر الصديق يشدد النكير على نفسه إن أخطأ،وذلك حين يقول:" لأن أقرأ فأُسْقِط أحب إلي من أقرأ فألحن". وقيل:إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر على قوم يسيئون الرمي فقرعهم،فقالوا:" إنا قوم متعلمين" فأعرض مغضبا وقال:" والله لخطؤكم في لسانكم أشد علي من خطئكم رميكم.سمع رسول الله ص يقول:" رحم الله امرءا أصلح من لسانه".[10]

ويروي لنا الجاحظ أن أول لحن سمع في البادية قول أحدهم:" هذه عصاتي" بدل "عصاي" لقوله تعالى: ﴿هي عصاي أتوكؤ عليها﴾[11]، و أن أول لحن سمع في العراق قولهم:"حي على الفلاح" بكسر الياء بدل فتحها.ثم تفشت ظاهرة اللحن في العصر الأموي حتى وقع فيه بعض الخلفاء والبلغاء،بالرغم من أنه كان عيبا يتحاشاه الناس.فقد روي عن عبد الملك بن مروان أنه قال:" شيبني ارتقاء المنابر وتوقع اللحن".[12]

اللحن ظاهرة اجتماعية تتداخل في صنعها عوامل عديدة أهمها:[13]

1.اختلاط العرب بغيرهم من الأمم والأجناس.

2.اشتغال غير العرب من العجم والموالي بالعلم.

3.إهمال النقط والشكل في اللغة العربية.

ونظرا لأهمية الظاهرة هرع اللغويون العرب القدامى إلى تأليف مجموعة من الكتب، التي استطاعوا من خلالها ضبط قائمة من الكلمات، أو الصيغ التي تداولتها العامة من الألسن، والتي حكموا عليها على أنها لحن أو خطأ ،ثم ذكروا صوابها.ومن بين هذه المؤلفات نذكر:[14]

- **ما تلحن فيه العامة للكيسائي ت 189هـ.**
- **إصلاح المنطق لابن السكيت ت 244هـ.**
- **أدب الكاتب لابن قتيبة ت 276هـ.**
- **الفصيح لأبي عباس ثعلب ت 291هـ.**
- **لحن العامة لأبي بكر الزبيدي ت 379هـ.**
- **التلويح في شرح الفصيح للهروي ت 433هـ.**
- **تكملة إصلاح ما تلفظ فيه العامة للجواليقي ت 580هـ.**

- **المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان لابن هشام اللخمي ت 577هـ.**
- **تقويم اللسان لابن الجوزي ت 597هـ.**
- **ذيل فصيح ثعلب للبغدادي ت 629هـ.**
- **الجُمانة في إزالة الرطابة لابن الإمام ت 827هـ.**
- **التنبيه على غلط الجاهل لابن كمال باشا ت 940هـ.**

5. نشأة علم النحو من أجل التصدي لظاهرة اللحن:

بعد شيوع اللحن في الحواضر وانتقاله إلى البوادي،أصبح هذا أكبر اهتمامات الخلفاء والولاة الذين لجؤوا إلى العلماء ليضعوا الضوابط والقوانين التي تعصم الألسنة من الخطأ وتقي اللغة من الفساد وبهذا يحفظون لغتهم سليمة نقية وهم بهذا لا يحرصون على سلامة اللغة فحسب،وإنما يحاولون كذلك أن يحققوا هدفا أسمى وغاية أعظم:إنهم يخشون أن ينتقل هذا الفساد إلى القرآن الكريم فيناله التحريف والتغيير.[15]

نشأ النحو أول ما نشأ في أحضان القراءات القرآنية،فرواد هذا العلم كانوا كلهم قراء ابتداء من أبي الأسود الدؤلي ومرورا بتلامذته كنصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هرمز ويحي بن يعمر وميمون الأقرن وعنبسة الفيل.حيث كان النحو عبارة عن أداة يستعملها القراء للوصول إلى القراءة الصحيحة.وبعد أن جاء عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي أعطى دفعا جديدا للدراسات النحوية وأدخل عليه القياس وأستاذه نصر بن عاصم.[16]

ولقد تعددت الروايات حول أسباب وضع النحو العربي، لكنها جميعا تتحد في معنى عام هو أن سبب وضع النحو هو تفشي اللحن على ألسنة الناطقين،وأن واضع النحو هو أبو الأسود الدؤلي بإشارة من علي- كرم الله وجهه-[17]

فقد قال أبو الأسود الدؤلي للكاتب عند ضبط المصحف:"فإن رأيتني فتحت شفتي بالحرف فضع نقطة فوقه إلى أعلى،وإن رأيتني كسرت شفتي فضع نقطة تحته،وإن رأيتني ضممت فضع نقطة بين يدي الحرف،فإن اتبعت شيئا من ذلك غنة فاجعل مكان النقطة نقطتين،فسمى النقطة التي فوق الحرف (فتحة)،وسمى التي تحته(كسرة)،وسمى التي بين يدي الحرف(ضمة) وسمى النقطتين(تنوينا).[18]

ونتيجة اختلاط نقط الإعراب بنقط الإعجام الذي ظهر في إعراب الكلمات،مما جعل نصر بن عاصم يضع نقط الإعجام ،ويحي بن يعمر هو الذي يضع نقط الإعراب باللون المخالف.وضل الأمر على هذا النحو حتى جاء الخليل بن احمد الفراهيدي،فابتكر للإعراب علامات بدلا من النقط التي استوحاها من حروف المد ومن قول أبو الأسود الدؤلي حول تنقيط المصحف.[19]

كما نجد كذلك ابن خلدون في مقدمته يتحدث عن الإعراب، إذ يرى بأن أحسن وأوضح الملكات التي كانت حاصلة للعرب،هي إبانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني. مثل الحركات التي تعين الفاعل من المفعول والمجرور...[20]

و يرى بأن الإعراب لا يوجد إلا في لغة العرب، إذ يقول:"أما غيرها من اللغات فكل معنى أو حال لابد له من ألفاظ تخصه بالدلالة ولذلك نجد كلام العجم في مخاطباتهم أطول مما نقدره بكلام العرب".[21]

فمصطلح الإعراب، بحكم تواتر استعماله عبر العصور- كما يقول عبد السلام المسدي-وكذلك بحكم إذعانه لقوانين الاقتصاد الأدائي عبر اختزال السياق وعبر المجاز بالحذف، قد غدا لفظا مشكلا تتجاذبه معان لا يحدد مقاسمها داخل الحقل الدلالي المشترك بينها إلا السياق وعند من هو صبور على دقائق المعنى،شغوف بضمنات السياق.[22]

ويرى محمد حماسة عبد اللطيف أن مصطلح الإعراب في نصوص تراثنا النحوي كان يراد به أمران هما:[23]

1- ما يرادف علم النحو، وهو أعم من العلامات الإعرابية، وهو يصلح أن يقال عنه إنه يميز بين المعاني الوظيفية في الجملة من فاعلية و مفعولية وغيرهما.

2- العلامة الإعرابية.

يتضح أن النحو قد وضع ونما واكتمل على أرض البصرة،وعلى أيدي علمائها،وإن كانت الكوفة قد شاركتها هذا العمل في بعض مراحله،إلا أن البصرة كانت لها الريادة والسبق.[24]وكان كل هذا من أجل القضاء على ظاهرة اللحن ووضع قواعد تحفظ اللغة العربية من الضياع والقرآن الكريم من التحريف.

6.خاتمة:

وصفوة القول ،أن اللحن ظاهرة عرفها العرب من خلال اختلاطهم بغيرهم من الشعوب، كان لها أثرها على اللغة العربية مما أدى إلى ضعفها وتشويهها.وفي نفس الوقت كان سببا في ظهور علم النحو من قبل أبي الأسود الدؤلي،حيث تواصل هذا العمل مع العلماء الذين جاءوا من بعده لاسيما الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه و تضافر جهود علماء مدرستي البصرة والكوفة فيما بعد،هذا العلم الذي صان اللسان العربي من هذه الظاهرة،ووضع مجموعة من القوانين والقواعد التي من شأنها المحافظة على اللغة العربية من الضياع خاصة وأنها لغة القرآن الكريم.

7.الهوامش:

1.ابن منظور:لسان العرب،مادة(لحن)،دار صادر،بيروت،المجلد13،ص379.

2.ابن فارس:مقاييس اللغة،تح:عبد السلام محمد هارون،دار الفكر،ج5،ص239.

3. صلاح رواي:النحو العربي:نشأته،تطوره، مدارسه،رجاله،دار غريب، القاهرة، 2003، ص13-14.

4. ابن عبد ربه :العقد الفريد، ،تح:محمد سعيد العريان،دار الفكر ،بيروت، ج2،ص309.

5.ابن خلدون:المقدمة،ج1من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر،تح:أ.م. كاترمير،مكتبة لبنان،بيروت،طبعة باريس ،1858،المجلد3 ،ص297.

6. نايف محمود معروف:خصائص العربية وطرائق تدريسها،دار النفائس، بيروت، ط6،2008،ص45.

7.أبو الطيب اللغوي:مراتب النحويين،تقديم وتعليق:محمد زينهم محمد عزب،دار الآفاق العربية، القاهرة، 2003،ص14.

8.المرجع نفسه:ص14.

9. المرجع نفسه:ص14.

10.السيوطي: المزهر في علوم اللغة و أنواعها،شرح وتعليق:محمد أحمد جاد المولى بك،محمد أبو الفضل ابراهيم،علي محمد البجاوي،مكتبة دار التراث،القاهرة، ج2/ص199-396.

11.سورة طه الآية 18.

12.الجاحظ:البيان والتبيين،تح:عبد السلام محمد هارون،مكتبة الخانجي،القاهرة،ط7،1998، ج219/2.

13.محمد عبد الله ابن التمين:اللحن اللغوي وآثاره في الفقه واللغة،دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري،دبي،ط1،2008،ص34.

14.محمود فهمي الحجازي:علم اللغة العربية،وكالة المطبوعات،الكويت، دت، ص115.

15.صلاح رواي:النحو العربي:نشأته،تطوره، مدارسه،رجاله،دار غريب، القاهرة، 2003، ص22.

16. محمد الحباس :النحو العربي والعلوم الإسلامية-دراسة في المنهج-، عالم الكتب الحديث،الأردن،ط1،2009،ص46.

17.المرجع نفسه:ص43.

18. صلاح رواي:النحو العربي:نشأته،تطوره،ص67.

19. المرجع نفسه:ص67.

20.ابن خلدون:المقدمة، المجلد3 ،ص280.

21.المرجع نفسه: ص484.

22.عبد السلام المسدي: العربية والإعراب،مركز النشر الجامعي، تونس،ط1،2001 ،ص98.

23.محمد حماسة عبد اللطيف:العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث،دار غريب،القاهرة،ط1،2001، ص214-215.

24.المرجع نفسه:ص85.

8. قائمة المراجع:

1. ابن خلدون:المقدمة،ج1من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر،تح:أ.م. كاترمير،مكتبة لبنان،بيروت،طبعة باريس ،1858،المجلد3.

2. ابن فارس:مقاييس اللغة،تح:عبد السلام محمد هارون،دار الفكر،ج5.

3. ابن عبد ربه :العقد الفريد، ،تح:محمد سعيد العريان،دار الفكر ،بيروت، ج2.

4. ابن منظور:لسان العرب،مادة(لحن)،دار صادر،بيروت،المجلد13.

5. أبو الطيب اللغوي:مراتب النحويين،تقديم وتعليق:محمد زينهم محمد عزب،دار الآفاق العربية، القاهرة، 2003.

6. الجاحظ:البيان والتبيين،تح:عبد السلام محمد هارون،مكتبة الخانجي،القاهرة،ط7،1998، ج2.

7. السيوطي: المزهر في علوم اللغة و أنواعها،شرح وتعليق:محمد أحمد جاد المولى بك،محمد أبو الفضل ابراهيم،علي محمد البجاوي،مكتبة دار التراث،القاهرة، ج2.

8. صلاح رواي:النحو العربي:نشأته،تطوره، مدارسه،رجاله،دار غريب، القاهرة، 2003.

9. عبد السلام المسدي: العربية والإعراب،مركز النشر الجامعي، تونس،ط1،2001.

10. نايف محمود معروف:خصائص العربية وطرائق تدريسها،دار النفائس، بيروت، ط6،2008.

11. محمد الحباس :النحو العربي والعلوم الإسلامية-دراسة في المنهج-، عالم الكتب الحديث،الأردن،ط1،2009.

12. محمد حماسة عبد اللطيف:العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث،دار غريب،القاهرة،ط1،2001.

13. محمد عبد الله ابن التمين:اللحن اللغوي وآثاره في الفقه واللغة،دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري،دبي،ط1،2008.
14. محمود فهمي الحجازي:علم اللغة العربية،وكالة المطبوعات،الكويت، دت.